مشاهير الرواة

مما لا ريب فيه أن الكتابة كانت شائعة فى الحواضر وبخاصة فى مكة التاجرة ، وفى السيرة النبوية أن رسول الله ﷺ جعل فداءالأسرى القرشيين الكاتبين فى بدر أن يعلم الأسير منهم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة[١] .

ومن بين هؤلاء الكتاب من كان يكتب بين يديه الوحى وما يعرض من أموره وأمور المسلمين فى عقودهم ومعاملاتهم وهؤلاء كثرة كاثرة[٢] ، فالكتابة كانت معروفة بل كانت شائعة فى الجاهلية .

ورويت أخبار متفرقة تدل على بعض الشعراء استخدمها بلاغًا شعريًا لقومه فى بعض ما حزبه من الأمر[٣] وقد كان مغاليًا المستشرق (كرنكو) حينما زعم أن نظم الشعر فى الجاهلية كان مرتبطًا بها وبمعرفتها بدليل اختلاف القراءات للفظة الواحدة ، وأيضًا فإن استخدام الشاعر لبعض القوافى النادرة يدل على أنه كان يلاحظ العين أكثر مما يلاحظ الأذن[٤] .

وأكبر الظن أن اختلاف القراءة إنما نشأ فى عصر التدوين أو بعبارة أخرى فى القرن الثانى الهجرى ، وأيضًا فإن الشعر سمعى ، وليس فنًا بصريًا كما زعم (كرنكو) مما دفعه إلى المغالاة فى مقولته السالفة الذكر ، والحق أنه ليس بين أيدينا دليل مادى على أن الجاهليين اتخذوا الكتابة وسيلة لحفظ أشعارهم ، وربما كتبوا بها بعض القصائد حيث إن

---

(١) طبقات ابن سعد جـ١ إلى ص ١٤ .

(٢) الوزراء والكتاب للجهشارى ص ٢ ط الحلبى بتصرف .

(٣) مصادر الشعر الجاهلى .

(٤) العصر الجاهلى د/ شوقى ضيف ص ١٣٩ ط دار المعارف بالقاهرة بتصرف .

وسائل الكتابة يومذاك كانت جد عسيرة ، ولا غرو فقد كانت وسائلها الحجارة ، الجلود ، وعظم الحيوان ، وسعف النخيل ، فمما لا ريب فيه أنها أشياء عسيرة ويصعب الكتابة عليها وأيضًا لا تشجع الشعراء على كتابة دواوينهم وتسجيل أشعارهم لنقلها إلى غيرهم من الأجيال اللاحقة ، وإنما حدث ذلك فى الإسلام بفضل القرآن الكريم ، وما أشاعه من كتابة آيه وتحول جمهور العرب معه من أميتهم الكبيرة إلى قارئين يتلون[1] ، وإن كان القرآن الكريم على قداسته لم يجمع فى مصحف واحد إلا بعد أن لحق الرسول عليه السلام بالرفيق الأعلى ، فإن ذلك وحده كاف لبيان أن العرب لم تنشأ لديهم فى الجاهلية فكرة جمع أشعارهم ، أو أطراف منه فى كتاب ، إنما أنشأ ذلك فى الإسلام وبمرور الزمن .

أما فى الجاهلية فكان اعتمادهم على الراوية حيث كان الشاعر ينشد قصيدته ويحفظها الناس ويروونها عنه ، ثم يتناقلها الرواة حتى تسير بها الركبان ، ويسمع بها وينشدها القاصى والدانى ، ومعنى ذلك أن الشعر الجاهلى مصدره الرواية الشفوية والتى ظلت حقبًا متتالية فى الإسلام ، والدليل على ذلك أن حديث رسول الله عليه السلام ظل معتمدًا على الرواية الشفهية إلى نهاية القرن الأول الهجرى ، فإذا كان الحال كذلك بالنسبة للسنَّة المطهرة فما بالك بالشعر الجاهلى ؟ فمما لا ريب فيه أن الرواية عماده .

ويقول الدكتور (شوقى ضيف) فرواية الشعر فى العصر الجاهلى كانت هى الأداة الطبيعية لنشره وذيوعه[2] وهذا مما لا يختلف عليه اثنان .

مشاهير الرواة وطبقاتهم :

وقد قسم العلماء المشاهير من الرواة إلى طبقات متباينة فمنهم الشعراء الرواة ، والشعراء الذين لم يتخصصوا فى رواية شعر شاعر بعينه ، بل كانوا يروون لشعراء كثيرين ورواة القبائل وهكذا ، ولنشرع الآن فى إلقاء الضوء عليهم .

---

(١) العصر الجاهلى د/ شوقى ضيف ص ص ١٣٩ - ١٤٠ ط دار المعارف بالقاهرة بتصرف .

(٢) ذاته ١٤٢ مرجع سابق .

أولاً : طبقة الرواة من الشعراء :

أولى هذه الطبقات وأولاها بالتقديم هى طبقة الشعراء الرواة ، فقد كان من يريد نظم الشعر ويصوغه يلزم شاعراً يروى عنه شعره وما يزال وحاله كذلك حتى يتفتق لسانه ، وينساب بالشعر ، ومن هؤلاء الشعراء الرواة (أوس بن حجر التميمى) فعنه أخذ الشعر ورواه حتى أجاد نظمه (زهير بن أبى سلمى المزنى) وكان له روايتان (كعب ابن زهير) و (الحطيئة) وعن الحطيئة تلقن الشعر ورواه (هدبة بن خشرم العذرى) ، وعن هدبة أخذ (جميل بثينة) وعن جميل أخذ (كثير صاحب عزة)[1] .

وبهذا تكتمل لدينا سلسلة من الشعراء الرواة يكون لهم من الخصائص الفنية التى تجمع بينهم ما يبيح لنا أن نسميهم (مدرسة شعرية)[2] وتلك الطبقة هى التى كانت تروى شعر شاعر بعينه كما أومأنا إلى ذلك آنفًا من أن زهير بن أبى سلمى كان راوية لأوس ابن حجر وهكذا . فيحفظ ثم يروى ويتتلمذ حتى يصبح ذلك التقليد فطرة لديه فينساب الشعر على لسانه أنهراً .

وهناك طائفة أخرى يرددون شعراً لمن سبقهم ولبعض من عاصرهم من الشعراء ، ولا يحددون شاعراً معينًا يتلقون عنه ، أو يتتلمذون على يديه ، بل يروون مناهل شتى ، ثم يصدرون وقد كملت شخصياتهم الشعرية المستقلة وقد قسم النقاد القدامى الشعراء إلى أربع طبقات وجعلوا فى مقدمتهم الشعراء الفحول وهم الشعراء الرواة للشعر قال الأصمعى : قال رؤبة :

(الفحول هم الرواة)[3] يريد الذين يروون شعر غيرهم فيكثر تصرفهم فى الشعر ويقوون على القول . أما الطبقة الأولى فهؤلاء الشعراء الذين يُكَوِّنون مدرسة شعرية منسقة تبدأ بالشاعر (أوس بن حجر) وتنتهى بالشعر (كثير عزة) حيث إن (زهير

(١) الأغانى ١/ ٩١ ط دار الكتب المصرية .

(٢) فى الأدب الجاهلى للدكتور طه حسين ط الرابعة ص ٢٩٧ .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ ٢/ ٩ ت هارون مكتبة الخانجى سنة ١٤٠٥هـ سنة ١٩٨٥م والمصدر نفسه ٢/ ٨ تحقيق حسن السندوبى المكتبة التجارية مطبعة الاستقامة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م والعمدة لابن رشيق القيروانى ١/ ٧٣ .

ابن أبى سلمى) كان راوية لأوس وتلميذاً له[1] علمًا بأن ابن قتيبة الدينورى يجعل أستاذًا آخر وهو خاله (بشامة بن الغدير) ثم صار (زهير) أستاذًا لابنه (كعب) والحطيئة[2] وكان الحطيئة متين الشعر شرود القافية ، وكان راوية لزهير وآل زهير حتى قال الحطيئة لكعب بن زهير : (قد علمت روايتى شعر أهل البيت ، وانقطاعى إليكم وقد ذهب الفحول غيرى وغيرك فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعنى موضعًا ، فإن الناس لأشعاركم أروى إليها أسرع فقال كعب :

فمن للقوافى شأنها من يحوكها ... إذا ما ثوى كعب وفوز جزول

كفيتك لا تلقى من الناس واحداً ... تتخلى منها مثل ما يتنخل

يثقفها حتى تلين متونها ... فيقصر عنها كل ما يتمثل[3]

ونحن نميل إلى رأى ابن قتيبة الدينورى والذى يجعل لزهير أستاذًا آخر يعنى خاله (بشامة) فقد كان لخاله دور كبير فى شاعريته كما كان لزهير دور فى شاعرية ابنه (كعب) ونستطيع القول بأنه البيئة لعبت دوراً أساسيًا فى شاعريتهم جميعًا فقد كان زهير شاعراً وخاله بشامة بن الغدير شاعراً وابناه كعب وبحير شاعرين وأختاه سلمى والخنساء شاعرتين ، فكأنما هؤلاء القوم خلقوا للشعر ، وصيغت نفوسهم منه . ابن خشرم (الشاعر وتتلمذ للحطيئة وصار راويته)[4] ثم تتلمذ (جميل بن معمر العذرى) (لهدبة ابن خشرم) وروى شعره ثم كان آخر من اجتمع له الشعر والرواية (كثير عزة) تلميذ (جميل) وراويته[5] .

ثانياً : الطبقة الثانية :

والطبقة الثانية هم الشعراء الذين لم يختصوا برواية شعر شاعر معين ، بل كانوا يروون الشعر لكثيرين ويتتلمذون عليهم جميعًا حتى يستقيم عودهم ويقرضون الشعر بعد اكتمال نموهم الشعرى ، وهذه الطبقة حفظ شعراؤها الشعر الجاهلى ورووه وتمثلوا

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينورى ١/ ٨٦ .
(٢) ذاته ، ١/ ٩٣ .
(٣) طبقات ابن سلام ص ٣٣ ، ٣٤ المطبعة المحمودية ، والشعر والشعراء ص ١٠٦ .
(٤) الأغانى ٢/ ٩١ . (٥) ذاته .

به ، ولقد تعدى الأمر إلى أكثر من هذا حيث إنهم تصدوا له بالنقد والحكم على شعر الشعراء من حيث الجودة والرداءة ، وتلك مهمة الناقد ، كما أنهم فاضلوا بين الشعراء ، والدليل على أن هؤلاء الشعراء والرواة بلغوا من التمكن فى الرواية والحفظ تمكنًا دفعهم إلى النقد السليم واعتماد العلماء الذين أتوا من بعدهم أحكامهم التى حكموا بها على الشعر والشعراء وأخذوا عنهم ومن الشعراء الرواة (الطرماح) قال (محمد بن سهل) راوية الكميت : أنشدت الكميت قول الطرماح :

إذا قبضت نفس الطرماح أخلفت عرى المجد واسترخى عنان القصائد

قال : فقال : (الكميت) أى والله ، و (عنان الخطابة والرواية)[1] .

والكميت بن زيد كان راوية عالمًا بلغات العرب خبيراً بأيامها ومثالبها كما كان رؤبة ابن العجاج راوية للشعر الجاهلى ، وكان ينقده ويحكم عليه ويقال إن ذا الرمة راوية راعى الإبل[2] . فقد كان يروى شعره ويجعله إمامًا[3] ، وكان يؤخذ عنه بعض الشعر الجاهلى وقد أخذه عنه يونس بن حبيب قصيدة (عبيد بن الأبرص) الحائية التى يصف فيها المطر ، وجعلها (يونس) من أجل ذلك لعبيد بن الأبرص ، وإن كان للفضل الضبى صرفها إلى أوس بن حجر[4] .

وهؤلاء الرواة لم يكونوا يقفون عند رواية الشعر القديم مجردة ، بل كانوا يضيفون إليها كثيراً من الأخبار عن الجاهلية وأيامها ، وكانوا يتخذون لأنفسهم حلقات فى

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٤٦ تحقيق عبد السلام هاون ط الخامسة مكتبة الخانجى ، وراجع أيضًا الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥٦٧ . ط دار المعارف بمصر .

(٢) طبقات الشعراء للجمحى ص ٢٠٧ .

(٣) الموشح للمرزبانى ص ١٧٠ .

ذو الرمة : هو غيلان بن عقبة أحد بنى عدى بن عبد مناة بن أد . وراعى الإبل هو الراعى النميرى . . عبيد بن حصين كان من رجال العرب ووجوه قومه وكان مع ذلك بذيًا هجّاء لعشيرته .

(٤) طبقات ابن سلام الجمحى ص ٧٦ وما بعدها .

المسجد الجامع يحاضرون فيها الطلاب ، وفى أثناء ذلك يشرحون لهم بعض الألفاظ الغريبة ، أو يفسرون لهم ظروف النص التاريخية[١] .

وكذلك كان (جرير) و (الفرزدق) وفى أخبار الشاعرين ما يدل دلالة حاسمة على أنهما كانا على معرفة بأخبار الجاهلية وأيامها ورواية شعرها ، ومما يدل على ذلك أن علماء القرن الثانى قد أخذوا بعض علمهم عن الجاهلية وشعرها عن هؤلاء الشعراء وبخاصة (جرير والفرزدق)[٢] .

أما جرير فيقول الجاحظ : « ومن القدماء العلماء بالنسب وبالعرب : « الخطفى » وهو جد « جرير بن عطية بن الخطفى » وهو حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب ابن يربوع ، وإنما سمى (الخطفى) لأبيات قالها وهى :

يرفعن بالليل إذا ما أسدفا أعناق جنان وهاما رجفا

وعناقا باقى الرسيم خيطفا[٣]

وذلك دليل على أنه كان شاعرًا ، وقد أدركه (جرير) وعنه أخذ[٤] كما روت بنت جرير عن أبيها أخبارًا عن أيام الجاهلية ومنها (خبر يوم ذى قار)[٥] وكان خلفاء بنى أمية يسألونه عن الشعراء الجاهليين منهم والإسلاميين فيخبرهم بشعرهم وبنقده وأحكامه على هؤلاء الشعراء[٦] ، فهو لم يقف عند حد الرواية ، بل يفهم من ذلك أنه كان ناقدًا للشعر أيضًا وذلك دليل على حذقه ومهارته فى الرواية ، وفهمه لشعر هؤلاء الشعراء ، وتمييز الجيد من الردىء منه ، وقد أفاد (جرير والفرزدق) من روايتهما للشعر الجاهلى حيث إنهما عرفا أخبار الجاهلية وأنساب العرب ، وقد ضمنا شعرهما ذلك فى المدح

---

(١) العصر الجاهلى د/ شوقى ضيف ص ١٤٨ .

(٢) مصادر الشعر الجاهلى للأسد بتصرف ط دار المعارف القاهرية .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٢٦١ .

(٤) طبقات فحول الشعر ص ٣١٩ وما بعدها .

(٥) النقائض ص ٦٤٧ ومصادر الشعر الجاهلى ص ٢٣٧ بتصرف .

(٦) أمالى القالى ٢/ ١٧٩ . العنق : ضرب من السير . الخيطف : السريع .

والهجاء ، ولذلك قال أبو عبيدة عنهما : هما بئس الشيخان ما خلق الله أشأم منهما على قومهما ، إنهما أخرجا مثالب بنى تميم وعيوبهم وكانا أعلم الناس بعيوب الناس[١] .

أما الفرزدق ، فقد تعلم الشعر وروايته وكلام العرب وهو صغير السن فيروى أن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعى دخل على أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه ومعه ابنه همام الفرزدق وهو غلام يومئذ فسأله قائلاً : من هذا الغلام ؟ قال : هذا ابنى . قال ما اسمه ؟ قال : (همام) وقد رويته الشعر يا أمير المؤمنين وكلام العرب ، ويوشك أن يكون شاعراً مجيداً[٢] .

وكان كثير الرواية لشعر امرئ القيس حافظًا لأخباره ويرجع العلماء السبب فى ذلك إلى صحبة عمه شرحبيل بن الحارث لامرئ القيس قبل يوم الكلاب ، وكان شرحبيل مسترضعًا فى بنى دارم رهط الفرزدق فلحق امرؤ القيس بعمه ، فلذلك حفظ الفرزدق أخباره[٣] .

ويقول الجاحظ عن الفرزدق : هو راوية الناس وشاعرهم وصاحب أخبارهم[٤] ويقول عنه يونس : (لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس)[٥] وذلك دليل على أن الفرزدق كان راوية لشعر الجاهليين عالمًا بأخبارهم وأيامهم ، وله قصيدة شعرية يذكر فيها شعراء الجاهلية وطرفًا من أخبارهم مع توجيه النقد لأشعارهم ، وفى ذلك دليل آخر على روايته وعلمه بما يرويه من أشعارهم وأخبارهم وأيامهم حيث إنه لم يقف عند حد الرواية فحسب ، بل إنه يروى ويحلل وينقد ، ولا يتأتى ذلك إلا لراوية خبير ، وعالم ناقد بصير ، فيقول :

---

(١) النقائض ص ١٠٤٩ .

(٢) خزانة البغدادى ١/ ٢٢٣ ت هارون الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٩ الطبعة الثانية .

قال له على رضى الله عنه : أقرئه القرآن فهو خير له ، فكان الفرزدق يروى الحديث ويقول : ما زالت كلمته فى نفسى حتى قيد نفسه بقيد وأبى ألا يفكه حتى يحفظ القرآن . فما فكه حتى حفظه وعاش حتى قارب المائة ومات سنة عشر ومائة .

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ٧٠ وما بعدها بتصرف والجمهورية ص ١٨٥ .

(٤) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٣٢١ .

(٥) ذاته .

وهب القصائد لـى النوابغ إذ مضوا ... وأبو يزيـد وذو القـروح وجـرول
والفـحـل علقـمـة الذى كـانت له ... حـلـل الملوك كـلامـه لا يتنحـل
وأخـو بـنى قـيـس وهن قـتلـنـه ... ومـهلهـل الشـعـراء ذاك الأول
والأعـشـيـان كـلاهمـا ومـرقش ... وأخـو قـضـاعـة قـوله يـتـمـثل
وأخـو بنى أسـد عـبـيـد إذا مـضى ... وأبـو دؤاد قـولـه يتـنحـل
وابنـا أبى سـلمى زهـيـر وابـنه ... وابن الفـريعـة حين جـد المقـول[1]

إلى آخر الأبيات مما يدل على معرفته التامة بالشعر والشعراء وأخبارهم .

ثالثًا : الطبقة الثالثة وهى طبقة رواة القبائل :

ولقد كان الشعر ديوان العرب الذى يسجل مفاخرها ومجودها وعزتها ومآثرها ، وكانت العرب لا تحتفل ولا تقيم الموائد إلا إذا نبغ فى القبيلة شاعر أو ولد لأحدهم مولود ذكر حيث إنهم كانوا يرون فى الشاعر أنه الذاب عن أعراضهم ، والمدافع عن أنسابهم وأحسابهم ، والحامى لمجودهم المتغنى بشجاعتهم والمترنم الشادى ببسالتهم فى خوض المعارك والحروب ، أما الغلام فيرون فيه أنه حامى الحمى ، وحامل السيف ، والذاب عن العرض والشرف ، ولو أنه بذل فى سبيل ذلك مهجته ، حتى قال شاعرهم :

كتب القـتل والـقتال علينا ... وعلى الغانيات جر الذيول

ولابن رشيق القيروانى كلام مفيد فى هذا الباب[2] والدليل على صدق ما أومأنا إليه آنفًا أن بنى تغلب كانوا يعظمون قصيدة (عمرو بن كلثوم) وكان يرويها كل أبناء القبيلة الصغار منهم والكبار وظلوا كذلك حتى هجاهم بعض الشعراء ، وعيرهم بذلك بعض الشعراء ، حيث قال :

ألهى بنى تغلب عن كل مكـرمة ... قصيدة قالها عمرو بن كلثوم[3]
يرددونها أبدًا منـذ كان أولهـم ... بالرجـال لشـعر غير مسـئوم

---

(١) الديوان ، ص٧٣٠ وما بعدها .
(٢) انظر العمدة ١/ ٤٩ وما بعدها .
(٣) الأغانى ٦١/ ٥٤ ط دار الكتب المصرية .

ولذلك كانت القبيلة مصدراً من مصادر الرواية للشعر الجاهلى فقد كانوا يروون لشعرائهم ، وأحيانًا يروون لشعراء آخرين من قبائل أخرى ذلك الشعر الذى يمتدحونهم به ، ولهذا السبب أخذ العلماء الرواة فى القرن الثانى بعض شعر الجاهلية من هذه القبائل ، ومما يرويه رواة منها من شعر شعرائها . وللتدليل على ذلك نسوق مثلاً لرواية بعض أفراد القبائل لشعر شعرائها .

فها هو ذا رسول الله ﷺ حينما أراد أن يسمع بعض شعر (أمية بن أبى الصلت) الثقفى استنشد رجلاً من ثقيف قبيلة الشاعر ففى صحيح مسلم عن (الشريد بن سويد) قال : ردفت رسول الله ﷺ فقال : هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شىء ؟ قلت : نعم . قال : هيه ؟ فأنشدته بيتًا ، فقال : هيه ، ثم أنشدته بيتًا ، فقال : هيه حتى أنشدته مائة بيت ، فقال : (كاد ليسلم) وفى رواية : (ليسلم فى شعره) وفى رواية (آمن شعره وكفر قلبه)[1] . وذلك حينما استمع النبى عليه السلام إلى هذه الأبيات :

يا رب لا تجعلنى كافراً أبدًا ... واجعل سريرة قلبى الدهر إيمانا
واخلط به نيتى واخلط به بشرى ... واللحم والدم ما عمرت إنسانا
إنى أعوذ بمن حج الحجيج له ... والرافعون لدين الله أركانا
مسلمين إليه عند حجهم ... لم يبتغوا بثواب الله أثمانا[2]

وحينما أراد (عبد الملك بن مروان) أن يسأل عن (ذى الإصبع العدوانى) ولم يسمع لمن ينشده قصيدته (عذير الحى من عدوان) سأل رجلاً من جديلة ، وعدوان قبيلة الشاعر بطن من جديلة فلما أجاب الرجل (عبد الملك بن مروان) قال له عبد الملك : (دن منى فإنى أراك بقومك عالمًا)[3] .

---

(١) خزانة البغدادى ١/ ٢٤٦ والمزهر للسيوطى ٢/ ٣٠٩ وابن سعد ٥/ ٣٧٦ .

(٢) ذاته ، ص٢٤٩ ترجمة « أمية » رقم ١٢٠ فى خزانة البغدادى . وقد وردت هكذا : عن الرشيد ابن سويد والصواب « الشريد بن سويد » .

(٣) الأغانى ٣/ ٩١ وما بعدها بتصرف .

وقد روى (خراش بن إسماعيل) عم رجل من تغلب ثم من بنى عتاب خبراً عن بنت (مهلهل) وابنها (عمرو بن كلثوم) وعمرو بن كلثوم من تغلب[1] .

ويروى ابن الكلبى بعض أخبار (حاتم الطائى) عن أفراد قبيلته (طئ) قائلاً : حدثنى الطائيون[2] .

وقد دخل (ثمامة بن الوليد) على المنصور قال له المنصور : يا ثمامة ، أتحفظ حديث ابن عمك عروة الصعاليك ابن الورد العبسى ؟ فقال : أى حديثه يا أمير المؤمنين ؟ فقد كان كثير الحديث حسنه ، فلما ذكر له المنصور الحديث قال ثمامة : إن له عندنا أحاديث كثيرة ما سمعنا له بحديث هو أظرف من هذا[3] .

هذا على سبيل المثال لا الحصر ، ومع ذلك فقد كان بعض أفراد القبائل يجهلون أخبار شعرائهم ، ولا غرو فمن غير المعقول أن يكون جميع أفراد القبيلة رواة ، أو جميعهم معنى ومهتم بهذا الأمر وإنما العناية والاهتمام بهذا اللون من العلم مما تغنى فيه معرفة طائفة دون أخرى .

رابعاً : الطبقة الرابعة وهم أبناء الشعراء :

مما تقدم يتضح لنا مدى الاهتمام البالغ ، والعناية الفائقة من أفراد القبائل وحرصهم الشديد على رواية شعر شعرائهم وإذاعته ونشره بين الناس ليضمنوا له بذلك البقاء والخلود . فإذا كان الأفراد من القبائل يعنون هذه العناية بشعر شعرائهم ويفعلون به كل ذلك للحفاظ عليه فما بالك بأبناء الشعراء وفلذات أكبادهم ؟ ومن هنا نشأت طبقة جديدة حيث رأينا الأبناء يروون للآباء ، وها هو ذا الراعى يعالن الناس بقوله : (من لم يرو لى من أولادى هذه القصيدة وقيدنى التى أولها : بأن الأحبة بالعهد الذى عهدوا » فقد عقنى)[4] .

---

(١) الأغانى ١/ ٥٢ ط دار الكتب المصرية .
(٢) الديوان ، ص٣٠ .
(٣) الأغانى ٣/ ٨٣ وما بعدها .
(٤) خزانة البغدادى تحقيق هارون ٣/ ١٤٦ ، ١٤٧ مكتبة الخانجى ، القاهرة .

ونعنى بالقصيدة التى وصى بنيه بروايتها تلك القصيدة التى مدح بها (عبد الملك ابن مروان) وشكا فيها من السعاة وهم الذين يأخذون الزكاة من قبل السلطان ، وهى قصيدة جيدة عدتها تسعة وثمانون بيتًا ، وفيها يقول :

عـــرب نـرى الله فـى أمـــوالـنا ... حـق الزكـــــاة منـزلاً تـنزيـلا
قـــوم عـلـى الإســـلام لما يمنـعـــوا ... مـاعـونهم ويضـيـــعـوا التـهليـلا
إن السعـادة عصـوك حين بعثـتهم ... وأتوا دواهى لـو علمت وغـــولا
إن الذيـن أمـــرتهـم أن يعـــدلوا ... لم يفـــعلوا مما أمـرت فـتـيـلا[1]

وقصيدته التى يستهلها بقوله : بأن الأحبة بالعهد الذى عهدوا هى فى المعنى نفسه . وهناك كثرة كاثرة من الأبناء الذين يروون للآباء ، وقد عاشوا فى الإسلام من أمثال : «ابن عبيد ابن الأبرص» و «على بن علقمة بن عبدة» و «القاسم بن أمية بن أبى الصلت» و« عبد الرحمن بن حسان بن ثابت » وابنه « سعيد بن عبد الرحمن »[2] و « كعب بن زهير ابن أبى سلمى المزنى » وابنه « عقبة بن كعب »[3] و « مكنف وحريث ابنا زيد الخيلى ابن مهلهل » وقد شهدا قتال الردة[4] وإبراهيم وداود ابنا « متمم بن نويرة » وقد وفد «إبراهيم بن متمم بن نويرة» على الخليفة « عبد الملك بن مروان »[5] واستشهد شعر أبيه وأخذ العلماء الرواة بعض الشعر الجاهلى عن هؤلاء الذين رووا لآبائهم وهم بلا ريب أصدق من غيرهم وأشد حرصًا وأوثق رواية وأمانة من غيرهم بداقع الحرص على تراث آبائهم وتخليد ذكراهم ، ومن بينهم أيضًا « عبد المنان بن المتلمس » .

ويروى أن (عدى بن حاتم طئ) عاش مائة وثمانين سنة ، وقد رووا عنه بعض أخبار أبيه (حاتم الطائى) وقدم (عدى) على رسول الله ﷺ فى شعبان من سنة سبع ويقول الواقدى : من ستة عشر ، ثم قدم على أبى بكر رضى الله عنه بصدقات قومه فى

(١) خزانة البغدادى تحقيق هارون ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ مكتبة الخانجى ، القاهرة .
(٢) معجم الشعراء للمرزبانى ، ص٣٦٣ .
(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينورى ١/ ٦٢ .
(٤) ذاته ، ص٢٤٤ .
(٥) ذاته ١/ ٢٩٧ .

حرب الردة ، ومنع قومه وطائفة معهم من الردة بثبوته على الإسلام وحسن رأيه ، ويكنى (بأبى طريف)[1] ودخل (إبراهيم بن متمم بن نويرة) على (عبد الملك بن مروان) فرأى فيه عقلاً وفضلاً ، فقال له : أنشدنا بعض مراثى أبيك وعمك فأنشده :

نعم الفوارس يوم نشبة غادروا تحت التراب قتيلك ابن الأزور

حتى انتهى إلى قوله

أدعوته بالله ثم قتلته لو هو دعاك بمثلها لم يغدر[2]

وذكر الأصمعى أن (حماد بن ربيعة بن النمر بن تولب) قد روى :

أهيم بدعد ما حببت فإن أمت أوصى بدعد من يهيم بها بعدى

علمًا بأن البيت يروى أيضًا للشاعر (نصيب) ولكنه رواه لجده (النمر بن تولب)[3]

ودخل ابن أبى محجن الثقفى على (معاوية) فقال له (معاوية) أبوك الذى يقول :

إذا مت فادفنى إلى جنب كرمة تروى عظامى بعد موت عروقها
ولا تدفنى بالفلاة فإننى أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

فقال ابن محجن : لو شئت ذكرت أحسن من هذا من شعره ، قال وما ذاك ؟ قال : قوله :

لا تسألى الناس مالى وكثرته وسائلى القوم ما حزمى وما خلقى
القوم أعلم أنى من سراتهم إذا تطيش يد الرعديدة الفرق
قد أركب الهول مسدولاً عساكره وأكتم السر فيه ضربة العنق[4]

---

(١) خزانة البغدادى ١/ ٢٨٦ وما بعدها ، وكتاب المعمرين لأبى حاتم السجستانى . ومغازى رسول الله للواقدى وهو أبو عبيد الله محمد بن عمر جماعة نشر الكتب القديمة سنة ١٩٤٨ .

(٢) الموشح للمرزبانى ، ص٢٤٠ ف .

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينورى ١/ ٢٦٩ ط دار المعارف ، القاهرة .

(٤) ذاته ، ص٣٣٨ .

النمر بن تولب صحابى . . بعد من المخضرمين .

ووفد على (عبد الملك بن مروان) وفد من أهل الكوفة ، فلما دخلوا عليه ، وكلمهم رأى فيهم رجلاً آدم طويلاً فكلمه فأعجبه بيانه ، فلما تولى تمثل (عبد الملك ابن مروان) بقول الشاعر عمر بن شأس :

وإن غرارًا إن يكن غير واضح فإنى أحب الجون ذا المنكب العمم

فالتفت الآدم إلى (عبد الملك) فضحك ، فقال : عبد الملك (علىَّ به) فلما جئ به ، قال : ما أضحكك ؟ قال : (أنا يا أمير المؤمنين عرار . فأقعده وقدمه وسامره)[1] .

الطبقة الخامسة : رواة الشاعر :

وقد كان لبعض الشعراء رواة ، وبخاصة الفحول وكان الرواة يلازمونهم حلا وترحالاً ، ثم يحفظون أشعارهم ويروونها فى المجالس . وقد سار هذا الأمر فى العصور التالية للعصر الجاهلى على غرار ما حدث فى الجاهلية من أمر الرواية ، فقد كان للفرزدق رواة ، أحدهم من بنى ربيعة بن مالك ، وكان يروى عامة شعر الفرزدق بينما كان هناك راوية آخر لا يروى من شعره إلا ما كان هجاء أو نقضًا لشعر جرير وغيره من الشعراء وكان اسم هذا الراوية (عبيدًا) وهو أحد بنى ربيعة بن حنظلة[2] .

وكان راوية (جرير) (الحسين) ولم يقتصر الحسين على رواية شعر (جرير) فحسب بل كان يكتبه كتابة وروى عن العلماء بعض أخباره[3] وكان راوية (كثير عزة) (السائب بن ذكوان)[4] وكان (محمد بن سهل) راوية (للكميت بن زيد الأسدى)[5]

---

(١) معجم الشعراء للمرزبانى ، ص٢١٢ .
الجون : الأبيض والأسود أيضًا فهو من الأضداد وجمعه جون . والجون بالضم جونة العطار وربما همز والمراد به فى البيت « الأسود » ، مختار الصحاح للرازى مادة « جون » ، ص١١٨ ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة .
(٢) الموشح ، ص١٠٦ وما بعدها بتصرف والنقائض ص١٠٤٩ .
(٣) ذاته ، ص٤٣٠ .
(٤) الأغانى ٩/ ٢٢٤ والموشح ص١٥٠ وما بعدها .
(٥) ذاته ٢/ ٤٥٢ والموشح ص١٩٣ وما بعدها .

وكذلك كان للشاعر (الأحوص بن محمد الأنصارى) راويته[1] ولذى الرمة (غيلان ابن عقبة أحد بنى عدى بن عبد مناة بن أون راويته . ويقال إن ذا الرمة راوية راعى الإبل)[2] .

وربما اجتمع هؤلاء الشعراء وتناشد كل راوية شعر صاحبه متفاخرين ، وذلك كما حدث حين اجتمع بالمدينة راوية (جرير) وراوية (الأحوص) وادعى كل رجل منهم أن صاحبه أشعر[3] .

مما سبق يتضح لنا أن الرواة لم يكونوا يقفون عند حد الرواية فحسب بل كان الراوية يتعصب للشاعر الذى يروى له ، وذلك دليل على أن الراوية معجب بشعره متذوق وفاهم لما يرويه ، كما أنه فاهم ومتذوق وناقد لأشعار الآخرين أيضًا فهو يستحسن شعر شاعر ، ويستقبح شعر آخرين .

من ذلك نعلم أن الرواية ظلت موصولة بالعصر الجاهلى ومن رواة الشعراء الجاهليين (عبيد) وكان راوية للأعشى وكان عالمًا بالإبل ، يقول الأعشى فى ذكر الناقة :

لم تعطف على حوار ولم يقـ ـطع عبيد عروقها من خمال[4]

وقد روى (عبيد) خبر قدوم (الأعشى) على النعمان وإنشاده بين يديه بعض شعره[5] وكان للأعشى راوية آخر وهو (يونس بن متى) وقيل (يحيى بن متى)[6] وذهب بعض العلماء إلى أن الأعشى لم يكن له إلا راو واحد ، بيد أن المصادر مختلفة فى اسمه حيث إن بعض الباحثين قد توهم أن رواة شعر الأعشى أكثر من واحد ، وذهب

(١) الأغانى ٤/ ٢٤١ وما بعدها .

(٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى ، ص٢٥٧ المطبعة المحمودية بالقاهرة . والموشح ص١٨٤ .

(٣) الموشح ، ص١٥٩ .

(٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينورى ١/ ٢١٦ الحوار : ولد الناقة ، الخمال : داء يصيب القوائم .

(٥) ذاته ، ص٢١٥ بتصرف .

(٦) خزانة البغدادى ٤/ ١٩٧ « السلفية » ، والأغانى ٩/ ١٢ ، والأغانى ٢١/ ١٢٦ .

الأستاذ (شاكرًا) فى تحقيقه لكتاب (الشعر والشعراء) إلى أن (الجواليقى) أخطأ فى اسم راوية الأعشى حينما ذكر أنه (يونس بن متى)[1] .

ويعلل الدكتور (ناصر الدين الأسد) سر وسبب الاختلاف بقوله : لقد كان هذا الراوية عباديًا من نصارى الحيرة فالغالب على ظننا أن يكون اسمه فى أصله (يوهانس) أو (يوجانس) ثم مر هذا الاسم عند العرب فى طورين :

الأول : الترجمة ، والثانى : التعريب .

ففى الطور الأول ترجموا معنى اسمه الذى يدل على العبودية للخالق فجعلوه فى العربية (عبيدًا) وأما طور التعريب فقد مر أيضًا فى مرحلتين ، الأولى : مرحلة حرفية لا تتغير عن الأصل كثيرًا فعربوا (يوهانس) وجعلوه (يونس) .

وأما المرحلة الثانية : فقد كانت مرحلة غير مباشرة ، وذلك أن (يوحنا) هو طور من أطوار هذا الاسم (يوحانس) فجاء العرب فعربوا (يوحنا) وجعلوه (يحيى) ثم يستنتج بعد هذا التطواف مع الاسم والاحتمالات التى رجح أن يكون الاسم قد مر بها والأطوار التى طرأت عليه أن الأسماء الثلاثة لاسم واحد ولراوية واحد .

ونحن إلى هذا الرأى وذلك الاستنباط نميل ، وبخاصة أن بعض المصادر أوردت أن اسمه (يحيى بن متى) وبعضها يقول : (يونس بن متى) فالاشتراك فى الاسم الثانى دليل حاسم على صدق ما ذهب إليه المحقق الأستاذ أحمد محمد شاكر وهو أن الجواليقى أخطأ فى اسم راوية الأعشى حينما ذكر أنه (يونس بن متى)[2] .

والحقيقة أن الأسماء الثلاثة المذكورة المختلفة فى ظاهرها ليست إلا اسمًا واحدًا فى حقيقتها يدل على راوية واحد بعينه والحقيقة التى لا مراء فيها أن الأسماء الثلاثة لمسمى واحد وراوية بعينه .

---

(١) الشعر والشعراء ، ص٢١٦ هامش .

(٢) الشعر والشعراء الدينورى ، ص٢١٦ هامش رقم «١» ومصادر الشعر الجاهلى د/ ناصر الدين الأسد ، ص٢٣٩ وما بعدها .

الرواة المشاهير :

تحدثنا فيما سبق عن الرواة وطبقاتهم ، وقبل أن نشرع فى الحديث عن أشهرهم نود أن نومئ إلى أن هناك رواة مصلحين للشعر ، ورواة وضاعين له ، ورواة علماء ولم نشأ أن نجعلهم طبقات لأنهم فى رأينا داخلون ضمن الرواة الذين أومأنا إليهم آنفًا حيث إنه لم يكن هناك راوية قد تخصص فى إصلاح الشعر ، بل قد يكون من الشعراء الرواة ، أو من رواة القبيلة ، أو من رواة الشاعر ، أو من الرواة العلماء ، أو الوضاعين ، فإن الوضاعين أيضًا علماء ولو لم يكونوا علماء ما استطاعوا وضع الأشعار ونسبتها إلى الشعراء مدعين أنها جاءت على ألسنتهم .

أما المصلحون للشعر فقد كان منهم رواة فى القرن الأول يصلحون بعض الشعر الأموى فقد دخل رجل من هذيل وهو حال الفرزدق على رواة الفرزدق فوجدهم يعدلون ما انحرف من شعره ولما جاء راوية (جرير) وجدهم أيضًا يقومون ما انحرف من شعره وما فيه من السناد . وقد خطأ الرواة الشاعر (ذو الرمة) فى قوله :

قلانص ما تنفك إلا مناحة على الخسف أو نرمى بها بلدًا قصرًا[1]

ولذلك غيروه فجعلوه (**ألا مناحة**) وقالوا : إنما قاله (ذو الرمة) على هذا ، وكان إسحاق الموصلى ينشده (ألا) ويقول نحتال لصوابه[2] .

وقال الأصمعى[3] : قرأت على خلف شعر (جرير) فلما بلغت قوله :

فيا لك يومًا خيره قبل شره تغيب واشيه وأقصر عاذله

فقال (خلف) ويله ، وما ينفعه خير يؤول إلى شر ؟ فقال الأصمعى له : هكذا قرأته على أبى عمرو ، فقال : صدقت وكذا قال جرير وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع ، فقال الأصمعى فكيف كان يجب أن يقول ؟

---

(١) الأغانى جـ٤ ، ص٢٥٨ .

(٢) الموشح للمرزبانى ، ص١٨٤ .

(٣) ذاته ، ص١٢٥ ، العمدة لابن رشيق القيروانى ٢/ ١٩٢ ، ١٩٣ .

قال : الأجود له لو قال : (**فيا لك يومًا خيره دون شره**) فاروه هكذا ، فقد كانت الرواة قديمًا تصلح من أشعار القدماء ، فقال له الأصمعى : (والله لا أرويه بعد إلا بكذا) فخلف يعلم أن الرواة كانوا قديمًا يصلحون من أشعار القدماء ولديه مسوغ للإصلاح ، وهو إذا كان الشاعر قليل التنقيح مشرد الألفاظ أما إذا كان الشاعر ينقح شعره ويشذ به ، ويتروى فيه ويهذبه فلا يجد الراوية ثغرة ينفذ منها إلى إصلاح شعره كزهير بن أبى سلمى المزنى ومن كان على شاكلته من المنقحين ، وأصحاب الحوليات . وأما الرواة الوضاعون الذين اشتهروا بوضع الشعر ونحله فقد وجدوا سبيلاً إلى ذلك وبخاصة فى القصص وأحاديث السمر ، وقد كان خلفاء بنى أمية وبنى مروان وخاصة (معاوية وعبد الملك) يعقدون مجالس خاصة للسمر والقصص ، وقد كان معاوية يسمر إلى ثلث الليل فى أخبار العرب وأيامها ، وأنه كان له غلمان مرتبون يقرأون عليه الأخبار والسير والآثار من دفاتر وكلوا بحفظها وقراءتها[1] .

وكان من محدثى (معاوية) وسماره (النخاز بن أوس) يقول الجاحظ : وقال إسحاق ابن عيسى لداود بن جعفر : بلغنى أن معاوية قال للنخار بن أوس أبغنى محدثًا[2] ، وقال : ومنى أمير المؤمنين تريد محدثًا ؟

قال : نعم ، أستريح منك إليه ، ومنه إليك ، وأنا لا أستريح إلى غير حديثك ، ولا يكون صمتك فى حال من الحالات أوفق لى من كلامك فمعاوية يطلب من محدثه الذى يسمر معه محدثًا آخر معه غير مكتف بمحدث واحد وهو (النخار بن أوس)[3] .

فذلك القصص وأحاديث السمر وتعدد المحدثين والسمار كان أوسع باب دخل منه الرواة الوضاعون لممارسة هوايتهم فى الوضع والنحل ، ولما رأى (عمرو بن العاص) رضى الله عنه شغف معاوية بالمسامرة ، وأحاديث من مضى أشار عليه باستدعاء (عبيد بن شرية الجرهمى) من الرقة ، وقال له إن عبيدًا من بقايا من مضى ، وأنه أدرك ملوك الجاهلية ، وأنه أعلم من بقى آنذاك فى أحاديث العرب وأنسابها ، وأوصفهم لما مر عليه

(١) مروج الذهب للمسعودى ٢/ ٥٢ .

(٢) هو إسحاق بن عيسى ابن أبى جعفر المنصور . أبغنى محدثًا : أطلبه لى .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٢٣٣ ، ت هارون ، الخانجى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

من تصاريف الدهر ، فاستدعاه (معاوية) فصار (عبيد) فى وقت السمر سمير معاوية فى خاصته من أهل بيته ، ثم أمر معاوية أهل ديوانه وكتابه أن يوقعوا هذه المجالس وأحاديثها ويدونوها فى الكتب[١] .

ولم يكن ذلك الأمر وقفًا على الأمويين فحسب بل شاع ذلك لدى جمهور العامة وانتشر القصاص فى المساجد يمزجون الوعظ بذلك القصص للعبرة والتسلية ، ويبدو أن القصص بدأ فى عهد مبكر ، حيث إن أول قاص هو (الأسود بن سريع التميمى) وكان من الصحابة ، وهو الذى يقول فى الميت :

فإن تنج منها تنج من ذى عظيمة وإلا فإنى لا أخالك ناجيًا[٢]

وقص الحسن وسعيد ابنا أبى الحسن ، وكان جعفر بن الحسن أول من اتخذ فى مسجد البصرة حلقة وأقرأ القرآن فى مسجد البصرة وقص إبراهيم التميمى وقص عبيد ابن عمر الليثى ، وجلس إليه (عبد الله بن عمر) ومن القصاص (أبو بكر الهذلى) وهو عبد الله بن سلمى ، وكان بينًا خطيبًا صاحب أخبار وآثار ، ومن القصاص (مسلم ابن جندب) وكان قاص مسجد النبى ﷺ وفيه يقول (عمر بن عبد العزيز) من سره أن يسمع القرآن غضًا فليسمع قراءة مسلم بن جندب[٣] ، وكان (أبو على الأسوارى) يقص فى مسجد (موسى بن سيار) ستًا وثلاثين سنة ، فابتدأ لهم فى تفسير سورة البقرة فما ختم القرآن حتى مات لأنه كان حافظًا للسير ، ولوجوه التأويلات فكان ربما فسر آية واحدة فى عدة أسابيع كأن الآية ذكر فيها يوم بدر ، وكان هو يحفظ مما يجوز أن يلحق فى ذلك من الأحاديث كثيراً ، وكان يقص فى فنون من القصص ويجعل للقرآن نصيبًا من ذلك[٤] .

---

(١) أخبار عبيد بن شرية ، ص٣١٢ ، ٣١٣ ومصادر الشعر الجاهلى ، ص٢٤٥ .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٣٦٧ تحقيق هارون ١٩٨٦ .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٣٦٧ وما بعدها .

(٤) ذاته ، ص٣٦٨ وما بعدها .

وكان (يونس بن حبيب) يسمع منه كلام العرب ، ويحتج به ، ثم قص من بعده (القاسم بن يحيى) وهو (أبو العباس الضرير) لم يدرك فى القصاص مثله ، ثم (مالك ابن عبد الحميد المكفوف) فأما (صالح المرى) فكان يكنى أبا بشر وكان صحيح الكلام رقيق المجلس[1] .

وقد كان القصاص يتمثلون فى وعظه ويستشهدون على قصصهم بشعر جاهلى . يقول الجاحظ (وكان صالح المرى) القاص العابد البليغ كثيراً ما ينشد فى قصصه وفى مواعظه هذا البيت :

فبات يدوى أصول الغسيل فعاش الغسيل ومات الرجل

وأنشد الحسن فى مجلسه ، وفى قصصه ومواعظه :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء[2]

وخطب (عبد الله بن الحسن) على منبر البصرة فى العيد وأنشد فى خطبته :

أين الملوك التى عن حظها غفلت حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
تلك المدائن بالآفاق خالية أمست خلاء وذاق الموت بانيها

وكان (مالك بن دينار) يقول فى قصصه (ما أشد فطام الكبير) وهو كما قال القائل :

وتروض عرسك بعد ما هرمت ومن العناء رياضة الهرم[3]

وإن الأخبار التى ساقها (عبيد بن شرية) فى مجلس معاوية وسمره فيها كثير من أشعار الجاهليين بعضها صحيح ومنسوب إلى شعراء معروفين كحسان بن ثابت ، وأمية ابن أبى الصلت ، وعبيد بن الأبرص ، والنابغة الذبيانى ، وبعضه الآخر منحول وموضوع ولا مراء فى أنه موضوع حيث إنه نسب إلى (يعرب بن قحطان) وإلى ثمود

(١) البيان والتبيين للجاحظ ، ص٣٦٩ .
(٢) ذاته ، ص١١٩ .
(٣) ذاته ، ص١٢٠ .

وأخيه جديس ومثل الشعز الذى قيل فى وفد (عاد) إلى مكة حيثما ذهبوا يستسقون ، ومن الغريب والعجيب أن هذه الأشعار مبثوثة فى كتب التواريخ والسير والمغازى وقد نبه الرواة العلماء إلى هذا الزيف ، وتلك الترهات كالذى نجده فى كتاب السيرة لابن إسحاق ، وإن جاء بعضه صحيحًا ثابتًا لدى العلماء الرواة بعد أن كان جل ما ورد فيه منحول وكيف يكون بعاد وثمود شعر الله عز وجل يقول : ﴿ **وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَىٰ * وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ** ﴾[1] وقال - سبحانه- فى عاد : ﴿ **فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ** ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ **فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا** ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾[4] ؟ وترى ابن النديم ينتقد ابن إسحاق فيقول : « كان يعمل له الأشعار ويؤتى بها ويسأل أن يدخلها فى كتابه السيرة فيفعل فضمن كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر »[5] وكذلك فعل (الواقدى) فى كتابه مغازى رسول الله ﷺ فقد أدخل فيها بعض الشعر الموضوع ، وإن كان نبه على وضعه فى مواطن من كتابه . وهناك موضوع آخر بخلاف القصص وأحاديث السمار ألا وهو (الأنساب) فالنسب لدى العربى له خطره وشأنه ولذلك كان يحرص عليه حرصه على حياته بل أشد ، وكان بعض الرواة يتزلفون السلاطين ، ويتقربون إلى ذوى المال والجاه والسلطان والنفوذ ، وذلك بوضع شعر منحول يحمل إشارات إلى نسبهم ، ومن ذلك أن (قضاعة) من (معد) بيد أنها انتسبت إلى (حمير) وزوروا فى ذلك شعرًا فقالوا :

يا أيها الداعى ادعنا وأبشر ... وكن قضاعيًا ولا تنزر
قضاعة بن مالك بن حمير ... النسب المعروف غير المنكر[6]

---

(١) سورة النجم ، الآيتان ٥٠ ، ٥١ .
(٢) سورة الحاقة ، الآية ٨ .
(٣) سورة الأنعام ، الآية ٤٥ .
(٤) سورة إبراهيم ، الآية ٩ .
(٥) الفهرست لابن النديم ، ص١٣٦ .
(٦) نسب قريش لأبى عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيرى ، تحقيق بروفنسال ط دار المعارف بمصر ، ص٥ .

كما أن هناك موضوعًا آخر يرتبط بسابقيه ارتباطًا وثيقًا وهو أخبار أيام العرب فى الجاهلية . ومن أمثلة وضع الشعر فى هذا الموضوع ونحله للشعراء الجاهليين ليكون سندًا وتكأة للخبر الذى يساق ما أورده أبو عبيدة فى حديث البراجم . حيث يقول : « قال عوف بن عطية التيمى يعير لقيطًا بن زرارة» أسر بنى عامر معبد بن زرارة وفرار لقيط عنه :

هلا فوارس وحرحان هجوتم ... عشرًا متاوح فى سرارة واد
تأكل الإبل الفراث نباته ... ما إن يقوم عماده بعماد
هلا كررت على بن أمك معبد ... والعامرى بقوده بصفاد[1]
وذكرت من لبن المحلق شربة ... والخيل تعدو فى الصعيد

قال أبو عبدة وبقية هذه القصيدة مصنوعة . وقال أيضًا : « فى يوم النسار » وأنشدونى فى تصداق ذلك أن الأسود كان رئيس الرباب يوم النسار قول : عوف ابن عطية بن الخرع التيمى :

ما زال حينكم ونقص حلومكم ... حتى بلوتم كيف وقع الأسود
وقبائل الأحلاف وسط بيوتكم ... يعلون هامكم بكل مهند

قال بنو أسد وغطفان : « وهذه مصنوعة ، لم يشهد الأسود النسار »[2] .

أما الرواة العلماء فهم طبقة متميزة عن الطبقات التى أومأنا إليها آنفًا ، وإن كان بعض رواة الشعر علماء ، وبعض الشعراء الرواة علماء ، وبعض الرواة المصلحين للشعر علماء ، وبعض الرواة الوضاعين أيضًا علماء بيد أن هذه الطبقة تفردت وتميزت بلون خاص ، وهو : أن هذه الطبقة اتخذت من الشعر موضوعًا علميًا تدرسه دراسة ، وتأخذه عن شيخ أو أستاذ فى مدرسة من مدارس علم الشعر وروايته آنذاك والمقصود بالمدارس تلك الحلقات والمجالس التى كانت تعقد فى المساجد أو منازل الشيوخ ويجتمع فيها التلاميذ من العلماء والمتعلمين يتحلقون حول شيخ شهد له بالحفظ والرواية ومعرفة كلام العرب والإحاطة الواسعة بشعرهم .

---

(١) النقائض ، ص٣٢٨ .
(٢) النقائض ، ص٢٤٠ لأبى عبيدة معمر بن المثنى تحقيق بيفان سنة ١٩٠٥م والنقائض أيضًا طبع الصاوى سنة ١٩٣٥م .

وكانت وسيلة الدرس تقوم على قراءة ديوان الشاعر ، أو ديوان القبيلة ، والتلاميذ يتابعون القراءة فى نسخ بين أيديهم ، أو يستمعون لمن يقرأ ولما يلقيه الشيخ من تصحيح للأخطاء ، أو ذكر لوجوه الروايات ، أو تفسير لغريب الألفاظ ، أو شرح للمعنى العام مع ذكر الأخبار والأحداث التاريخية ، وقد يضاف إلى ذلك الرحلة إلى البادية أو الاستماع إلى وفد منها من الأعراب ويبدو أن هذه الطبقة من الرواة العلماء لم تكن موجودة قبل مطلع القرن الثانى الهجرى[1] .

أشهر هؤلاء الرواة :

ومن أشهر هؤلاء الرواة الذين أومأنا إليهم آنفًا هم :

أولاً : أبو عمرو بن العلاء :وهو رأس وزعيم رواة البصرة (٧٠ - ١٥٤هـ) وهو من أعلام المدرسة النحوية ، وأحد القراء السبعة . يقول فيه ابن سلام : (وكان أبو عمرو أوسع علمًا بكلام العرب ولغاتها)[2] .

وكان راوية ثبتًا أمينًا وقد دفعه إلى ذلك صلاحه وورعه وتقواه وكيف لا ؟ وهو أحد القراء السبعة للقرآن الكريم ، وكان أيضًا أعلم الناس بالغريب والعربية والقرآن والشعر مما أدى إلى اكتساب البصرة سمعة طيبة ، وثقة فى صحة الرواية وأمانتها .

يقول ابن سلام : (لو كان أحد ينبغى أن يؤخذ بقوله كله فى شىء واحد كان ينبغى لقول أبى عمرو بن العلاء فى العربية أن يؤخذ كله ، ولكن ليس أحد إلا وأنت آخذ من قوله وتارك)[3] .

ثانيًا : حماد الراوية :(٩٥ - ١٥٦ وقيل ١٦٤هـ) وهو زعيم مدرسة الكوفة ، وكان من الموالى كما كان شاعرًا مجيدًا عالمًا بكلام العرب بيد أنه كان فاسقًا زنديقًا ، فاسد المروءة ماجنًا ، كما كان موهوبًا ذا قريحة صافية وعقل راجح ، فراح يدس على الشعراء

(١) مصادر الشعر الجاهلى د/ ناصر الدين ، ص٢٥١ ، ٢٥٢ .
(٢) طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى ، ص١٠ المطبعة المحمودية بالقاهرة .
(٣) ذاته ، ص١١ .

الجاهليين ، ونسب إليهم الشعر مستغلاً موهبته ورجاحة عقله وعلمه بكلام العرب ، ومذاهب الشعراء يقول ابن سلام الجمحى : « وكان أول من جمع أشعار العرب ، وساق أحاديثها حماد الراوية »[1] وكان غير موثوق به ، كان ينحل شعر الرجل غيره ويزيد فى الأشعار ، يقول يونس : « قدم حماد البصرة على بلال ابن أبى بردة » فقال : «ما أطرفتنى شيئًا فعاد إليه فأنشده القصيدة التى فى شعر الحطيئة مديح أبى موسى فقال ويحك ، يمدح الحطيئة أبا موسى ولا أعلم به وأنا أروى للحطيئة ، ولكن دعها تذهب فى الناس»[2] وهذا دليل على أنه كان ينحل شعر الرجل غيره ، فقد أنكر مدحه الحطيئة لأبى موسى حيث إنه راويته ومع ذلك نراه يقول : « دعها تذهب فى الناس » دون تحقيق لها أو التأكد من قائلها ونسبتها إليه .

ومن هنا أيضًا قالوا[3] : (كان خلف الأحمر أول من أحدث السماع بالبصرة) ، ذلك أنه جاء إلى حماد الراوية فسمع منه وكان ضنينًا بأدبه ، وقد أخذ عن هذين العالمين «أبى عمرو وحماد» سائر من نعرف من شيوخ العلم والرواية ، من أمثال : خلف الأحمر ، والمفضل الضبى ، والأصمعى وأبى عبيدة وأبى عمرو الشيبانى ، وأخذ عن هؤلاء من جاء بعدهم كابن الأعرابى و (محمد بن حبيب) وأبى حاتم السجستانى ثم أخذ عن هؤلاء : السكرى وثعلب وأضرابهما .

ويروى عن (الهيثم بن عدى) أنه كان يقول (ما رأيت رجلاً أعلم بكلام العرب من حماد)[4] ويروى أن الوليد بن يزيد سأله قائلاً : بم استحقت هذا اللقب فقيل لك الراوية ؟ فقال (حماد) بأنى أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين ، أو سمعت به ، ثم أروى لأكثر منهم ممن أنت لم تعرفه ولم تسمع به ، ثم لا أنشد شعرًا قديمًا ولا محدثًا إلا ميزت القديم منه من المحدث ، فقال الوليد : إن هذا العلم وأبيك كثير فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثيراً ، ولكنى أنشدك على كل حرف من حروف المعجم

---

(١) طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى ، ص٢٣ المطبعة المحمودية بالقاهرة .
(٢) ذاته ، ص٢٣ .
(٣) نزهة الألباء لابن الأنبارى ، ص٣٧ .
(٤) معجم الأدباء ١٠/ ٦٦٥ .

مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام ، قال : سأمتحنك فى هذا . وأمره بالإنشاد ، فأنشد الوليد حتى ضجر ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ، ويستوفى عليه فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين ، وأخبر الوليد بذلك فأمر له بمائة ألف درهم[1] .

ونحن نرجح أن هذه الرواية مبالغ فيها ، فلو فرضنا جدلاً أنه يعى ويحفظ هذا الكم الهائل من القصائد الجاهلية وغيرها فمن غير المعقول أن يجد قوة على إنشاده وأين السامع الذى يقوى على استماع ذلك الكم دون أن يصاب بالسأم والملل أو حتى الانصراف بذهنه عن متابعة الراوية فى الإنشاد ؟ بيد أننا نستطيع معالنة الباحثين بأن ذلك دليل فحسب على كثرة حفظه لأشعار العرب الجاهليين وتمرسه بالرواية ، ومعرفته الواسعة لأخبارهم مما أكد شهرته وذيوع صيته ، ومن سوء حظ الكوفة أن كان هذا الراوية البارع فاسد المروءة فاسقًا ماجنًا زنديقًا[2] .

وكان شاعراً يحسن صوغ الشعر وحوكه[3] . (فكان ينظم على ألسنة الجاهليين ما لم ينطقوا به ، وكثر منه ذلك حتى عرف به واشتهر) . يقول الأصمعى : (جالسته فلم أجد عنده ثلاثمائة حرف ولم أرض روايته) .

ويقال : إنه مدح (بلال بن أبى بردة) بقصيدته ، وكان ذو الرمة حاضراً فقال له : إنها ليست لك فسرعان ما اعترف بأنها جاهلية[4] . وربما دافع بعض العلماء عن حماد محتجين بأن ذلك جاء نتيجة المنافسة بين المدرستين ، البصرية والكوفية . ونحن نرد على هؤلاء بقولنا إن حماداً كان فاسد المروءة سيىء الخلق ؛ زنديقًا ماجنًا فاسقًا غير أمين فى روايته ، أما روح التنافس فإنها تدعو إلى التجويد والأمانة والدقة ، هذا إن كان الأمر مختصًا بالكم .

---

(١) معجم الأدباء لياقوت ١٠/ ٢٥٩ وتاريخ آداب العرب للرافعى جـ١ ط لبنان ، بيروت . والأغانى ٦/ ٧١ .

(٢) الحيوان للجاحظ ٤/ ٤٤٧ والأغانى ٦/ ٧٤ وأمالى المرتضى ١/ ١٣١ ولسان الميزان لابن حجر العسقلانى ٢/ ٣٥٣ .

(٣) المزهر للسيوطى ٢/ ٤٥٦ .

(٤) الأغانى ٦/ ٨٨ .

أما إن كان المقصود بقولهم : إن اتهامه جاء نتيجة التنافس بين المدرستين ، أى إن ذلك افتراء عليه فنقول : إن اتهام (حماد) بالدس على الشعراء لم يكن من جهة واحدة، بل كان من جهتين ؛ أعنى كانت التهمة بالدس والنحل والتزوير موجهة إليه من المدرستين ، البصرية ، والكوفية ، فلو أننا فرضنا جدلاً أن التهمة واردة من المدرسة البصرية ، فكيف تتهمه المدرسة الكوفية وهو إمام روايتها وزعيم مدرستها ؟!!

إن اتهام المدرسة الكوفية له أكبر دليل على أنه غير أمين فى روايته . ومن هنا يمكن أن يتسرب الشك فيمن أخذوا عنه ، ورووا بعده من تلاميذه مثل (ابن كناسة) و(خلف الأحمر) راوية البصرة الشهير إذ كان قد أكثر الأخذ عنه[١] .

ويروى أنه كان يعطى حماد المنحول فيقبله منه يورويه[٢] ، ومن رواة الكوفة الذين عاصروا (حماداً) واشتهروا بالوضع (برزخ العروضى) وكان من أكذب الناس فى الرواية[٣] . ومثل (العروضى) (جناد) حيث كان يخلط فى الأشعار ويصحف ، وكان يلحن كثيراً[٤] .

ثالثاً : خلف الأحمر : وهو من رواة البصرة المعروفين ولم يكن يقل عن (حماد) فى معرفته بأشعار العرب وأخبارها بل لعله يتقدمه حيث كان شاعراً مبرزاً ، وكان بصيراً بالشعر ، وأصل أبويه من (فرغانة) فهو من الموالى . ولد فى سنة (١١٥هـ) وتوفى حوالى سنة (١٨٠هـ) وقد شهد له ابن سلام الجمحى فقال : (أجمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت الشعر ، وأصدقهم لسانًا ، كنا لا نبالى إذا أخذنا عنه خبراً أو أنشدنا شعراً ألا نسمعه من صاحبه)[٥] .

---

(١) مراتب النحويين ، ص٤٧ وما بعدها .

(٢) الأغانى ٦/ ٩٢ .

(٣) إنباه الرواة على أنباء النحاة للقفطى ١/ ٢٤٢ ، والفهرست لابن النديم ص١٥٧ .

(٤) ذاته ، ص١٠٤ .

(٥) طبقات ابن سلام ، ص١٥ المطبعة المحمودية بمصر ، خلف بن حيان أبو محرز الأحمر .

بيد أن شهادة ابن سلام لا تعفيه من توجيه أصابع الاتهام إليه ، حيث إنه شهد على نفسه ، فكان يعطى (حماداً) المنحول من الشعر ويقبله حماد ، والاعتراف سيد الأدلة كما يقولون ويقال : إنه هو الذى وضع اللامية المنسوبة إلى (الشنفرى)[1] .

أقيموا بنى أمى صدور مصكم فإنى إلى قوم سواكم لأميل

كما أنه وضع لامية أخرى منسوبة إلى الشاعر الصعلوك (تأبط شراً) وقيل إنها منسوبة إلى ابن أخته :

إن بالشعب الذى دون سلع لقتيلا دمه ما بطل[2]

ويروى البيت برواية أخرى وهى :

إن بالشعب إلى جنب سلع لقتيلا دمه ما يطل

وقد تصدى له الأصمعى مراراً بتهمة الوضع والنحل فقال : « إنه وضع على شعراء عبد القيس شعراً موضوعًا كثيراً وعلى غيرهم عبثًا بهم ، فأخذ ذلك عنه أهل البصرة وأهل الكوفة »[3] .

ثم تقرأ ونسك فكان يختم القرآن الكريم فى كل يوم وليلة ، فخرج على أهل الكوفة فعرفهم الأشعار التى قد أدخلها فى أشعار الناس ، فقالوا له : (أنت كنت عندنا فى ذلك الوقت أوثق منك الساعة) فبقى ذلك فى دواوينهم إلى اليوم[4] .

ومن الرواة الوضاعين : (برزخ العروضى) و (جناد) و (محمد بن السائب الكلبى) ويكنى (أبو النصر) من علماء الكوفة بالتفسير والأخبار وأيام الناس ، ويتقدم الناس بالعلم والأنساب[5] وابنه (هشام) الكلبى عالم بالنسب وأخبار العرب وأيامها ،

---

(١) الأمالى ١/ ١٥٦ ومعجم الأدباء ١٠/ ٢٦٥ .

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٦/ ١٥٧ والحيوان للجاحظ ١/ ١٨٢ ومصادر الشعر الجاهلى للدكتور ناصر الدين الأسد ٢٥٨٢ ، والعصر الجاهلى د/ شوقى ضيف ، ص١٥٤ ، والحماسة لأبى تمام ١/ ٣٤٨ .

(٣) مراتب النحويين ٤٧ .

(٤) ذاته بتصرف .

(٥) الفهرست لابن النديم ١٠٧ تحقيق رضا شخدم .

ومثالبها ووقائعها أخذ عن أبيه وعن جماعة من الرواة ، وتوفى هشام سنة ست ومائتين[1] .

ومن الرواة الثقات : (الأصمعى) ١٢٣ - ٢١٥هـ بالبصرة وهو يقوم بالبصرة مقام (المفضل الضبى) بالكوفة ، وقد أشاد به معاصروه ، ومن تلاهم بسعة علمه بالجاهلية وأخبارها وأشعارها ، ووثقوه وعدلوه ولكن ذلك لم يمنع النيل منه ، بيد أن نيلهم منه مردود ، فقد كان حجة ثبتًا ، كما كان ثقة وأمينًا فى الرواية ، وفيه يقول ابن جنى :

وهذا الأصمعى هو صناجة الرواة والنقلة ، وإليه محط الأعباء والثقلة ، كانت مشيخة القراء وأماثلهم تحضره وهو حدث لأخذ قراءة (نافع) عنه ، ومعلوم قد وما حذف من اللغة فلم يثبته لأنه لم يقو عنده إذا لم يسمعه وأما إسقاط من لا علم له ، وقول من لا مسكة به ، إن الأصمعى كان يزيد فى كلام العرب ويفعل كذا ويقول كذا فكلام معفو عليه غير معبوء به[2] .

ويقول أبو الطيب اللغوى :

فأما ما يحكيه العوام وسقاط الناس من نوادر الأعراب ويقولونه فى : « هذا مما فعله الأصمعى » ، وأن يكون الأصمعى كما زعموا وهو كما يقول أبو الطيب اللغوى : «لا يفتى إلا فيما أجمع عليه العلماء ، ويقف عما ينفردون به عنه ولا يجوز إلا أفصح اللغات ، ويلج فى رفع ما سواه »[3] .

وله « الأصمعيات » المنسوبة إلى اسمه ، وهى مثل (المفضليات) للضبى ثقة ودقة ، كما رويت عنه الدواوين الستة وهى لامرئ القيس ، والنابغة وزهير بن أبى سلمى المزنى ، وطرفة ابن العبد البكرى ، وعنترة بن شداد العبسى ، وعلقمة بن عبدة الفحل ، وقد عاصره عالمان كبيران هما : (أبو زيد) و (أبو عبيدة) وكان أبو زيد يعنى بجمع

(١) الفهرست لابن النديم ، ص١٠٨ .
(٢) الخصائص لابن جنى ٣/ ٣١١ .
(٣) مراتب النحويين لأبو الطيب اللغوى ص ٤٩ .

اللهجات واللغات الشاذة ، وهو عربى أنصارى خزرجى ، أما أبو عبيدة معمر بن المثنى فكان من الموالى وكانت فيه نزعة شعوبية صارخة ولكن الرواة وثقوه[١] .

ويقول الدكتور (شوقى ضيف) وينبغى أن لا نتبعهم فى توثيقه وإن تقدم عليه الأصمعى وأبا زيد وكان يهتم بالأنساب والأيام وشرح نقائض جرير والفرزدق[٢] .

ومن الرواة الثقات أيضًا (المفضل بن محمد الضبى المتوفى سنة ١٧٠ هـ) وهو من رواة الكوفة ، وكان عالمًا بشعر الجاهلية ثبتًا دقيقًا ، ويجمع رواة البصرة والكوفة على توثيقه ، وهو صاحب (المفضليات) الشهيرة المعروفة والمنسوبة إليه .

ومنهم أيضًا (أبو زيد الأنصارى) المتوفى سنة (٢١٥هـ) وله كتاب (الجمهرة) و(أبو عبيدة البصرى) وله كتاب (النقائض) وإعجاز القرآن وتوفى سنة (٢٠٩هـ) وأبو عمرو الشيبانى المتوفى سنة (٢١٣هـ) وابن الأعرابى المتوفى سنة (٢٣١هـ) الكوفيان ، وكان وراءهما كثير من الرواة فى بلدتهم مثل (محمد بن حبيب) و(ابن السكيت) المتوفى سنة (٢٤٤هـ) و(ثعلب) المتوفى سنة ٢٩١هـ .

وانتهت الرواية فى البصرة إلى أبى سعيد الحسن بن الحسين السكرى المتوفى سنة ٢٧٥هـ ، وإليه يرجع الفضل فى جمع كثير من الدواوين الجاهلية ، وهو يجمع بين الروايتين البصرية والكوفية[٣] .

تعقيب :

مما تقدم يستبين لنا بجلاء ووضوح تامين أن رواية الشعر الجاهلى أحيطت بسياج من التمحيص والتحقيق ، وإن كنا قد رأينا من خلال البحث بين أصابير المصادر والمراجع التى تحدثت بغناء عن الشعر الجاهلى أنه قد كان هناك رواة وضّاعون مزورون

---

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى ٣/ ٢٨٠ .

(٢) ذاته .

(٣) العصر الجاهلى د/ شوقى ضيف ص ١٥٦ ط دار المعارف بمصر ومن الظواهر الفنية د/ سعد ظلام ص ٥١ .

من أمثال (حماد) ومحمد بن السائب الكلبى وابنه (هشام) وكانا من أكبر الوضّاعين إلا أن العلماء الأثبات الثقات الذين شهد لهم المؤرخون بالأمانة العلمية كانوا لهؤلاء وأمثالهم من الوضّاعين بالمرصاد .

ولا يخفى على هؤلاء العلماء ما وضعه الواضعون ، يقول ابن سلام الجمحى « وليس يشكل على أهل العلم ريادة ذلك ولا ما وضع المولدون »[1] .

ومن بين هؤلاء العلماء الأمناء : (المفضل الضبى) و (الأصمعى) وليس ذلك بمسوغ للخوض فى الشعر الجاهلى والطعن أو التشكيك فيه بحجة أن هؤلاء الرواة كانوا كاذبين فى بعض ما رووا ، ودسوا أشعاراً على الشعراء وتقولوا عليهم ، فإن الحديث النبوى الشريف قد وجدنا فيه أحاديث كثيرة من وضع الوضّاعين ، وحيل المحتالين ، ولكن الله قيّض له رجالاً عدولاً فمحصوه وخرّجوه ، وحظى منهم بتنقيته من الشوائب وما علق به من دس المنافقين والكذّابين ، ومازوا بين الصحيح والزائف وقدموا لنا الصحاح الستة الشهيرة .

وذلك الأمر حدث بالنسبة للشعر الجاهلى ، حيث إن الميدان لم يخل للوضّاعين يصولون فيه ويجولون ، بل كان هناك العلماء الثقات الأثبات لهؤلاء بالمرصاد ، فقد استطاعوا بجهودهم وأمانتهم ودقتهم ميز الصحيح من الزائف ، فكانوا بحق كالصيرفى الماهر الذى يميز العملة الجيدة من الرديئة ، الأمر الذى جعل ابن سلام الجمحى يقدم رواة الشعر الجاهلى على علماء الحديث النبوى فيقول : (حدثنى يحيى بن سعيد القطان) قال :

رواة الشعر أعقل من رواة الحديث ، لأن رواة الحديث يروون مصنوعًا كثيراً ، ورواة الشعر ساعة ينشدون المصنوع ينتقدونه ويقولون : « هذا مصنوع »[2] فواجب على الباحثين والدارسين للأدب الجاهلى ألا يتخذوا من هذه الاتهامات ذريعة للطعن

---

(١) طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى ص ٢٢ ط المحمودية بالقاهرة .

(٢) ذيل الأمالى ص ١٠٥ .

والتشكيك فى الشعر الجاهلى ، وإنما يجب أن نتحرى الصدق كما فعل الأوائل من الرواة الثقات من أمثال (الضبى والأصمعى) فنقبل ونؤيد ما هو ثقة ونرفض ما يرد إلينا عن طريق الرواة الوضّاعين والذين اشتهروا بالدّس والوضع والنحل من أمثال (حماد وخلف الأحمر) وما ورد أيضًا عن طريق المتزيدين من أمثال : (عبيد بن شرية) ومحمد ابن السائب الكلبى (وابنه هشام) وما وضعه القصّاص عن العرب البائدة كعاد وثمود ، حيث إن الله تعالى يقول : ﴿ **وأنه أهلك عادًا الأولى وثمود فما أبقى** ﴾ .

فكيف يروون لهم أشعارًا ؟!!

إنه بلا ريب محض افتراء واختلاف ، كما يجب إهمال ما اختلف الرواة فيه ؛ أما الشعر الذى يرد إلينا عن طريق الرواة الثقات رواية أو اتفاقًا فواجب علينا أن نقبله بل ونؤيده وندافع عنه لدى هؤلاء الطاعنين أو الشاكين فيه .

وهذا منهج اتفق عليه القدامى ، فذلك ابن سلام الجمحى يقول : (وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شىء منه - أى من الشعر - أن يقبل من صحيفة ولا يروى عن صحفى ، وقد اختلفت العلماء فى بعض الشعر كما اختلفت فى بعض الأشياء ، أما ما اتفقوا عليه فليس لأحد أن يخرج منه[1] .

وبذلك استطاع العلماء تصفية الشعر الجاهلى وغربلته مما علق به من شوب الرواية ، وبذلوا جهدًا لا ينكر فى هذا المجال ، مجال التمحيص والتنقيح ، والتشذيب والتهذيب ، فقد كانوا يُقوِّمون ما اعوجَّ من وجهة نظرهم الأدبية واللغوية كوضع كلمة مكان كلمة ، أو لفظ بدلاً من لفظ آخر ، أو تقويم بعض الألفاظ فيجعلونها على لغة قريش التى نزل بها القرآن الكريم ، أو يصلحون بيتًا أو قصيدة من الناحية العَروضية ، ولكنهم استطاعوا الحفاظ على جوهر الشعر الجاهلى محافظة تشهد لهم بالأمانة والثقة والدقة ، ثم نقلوه إلى الأجيال التالية لهم فى صورة مشرقة ومشرفة مطابقة تمامًا لأصوله .

---

(١) إنباه الرواة على أنباء النحاة للقفطى ٣/ ٢٨٠ .